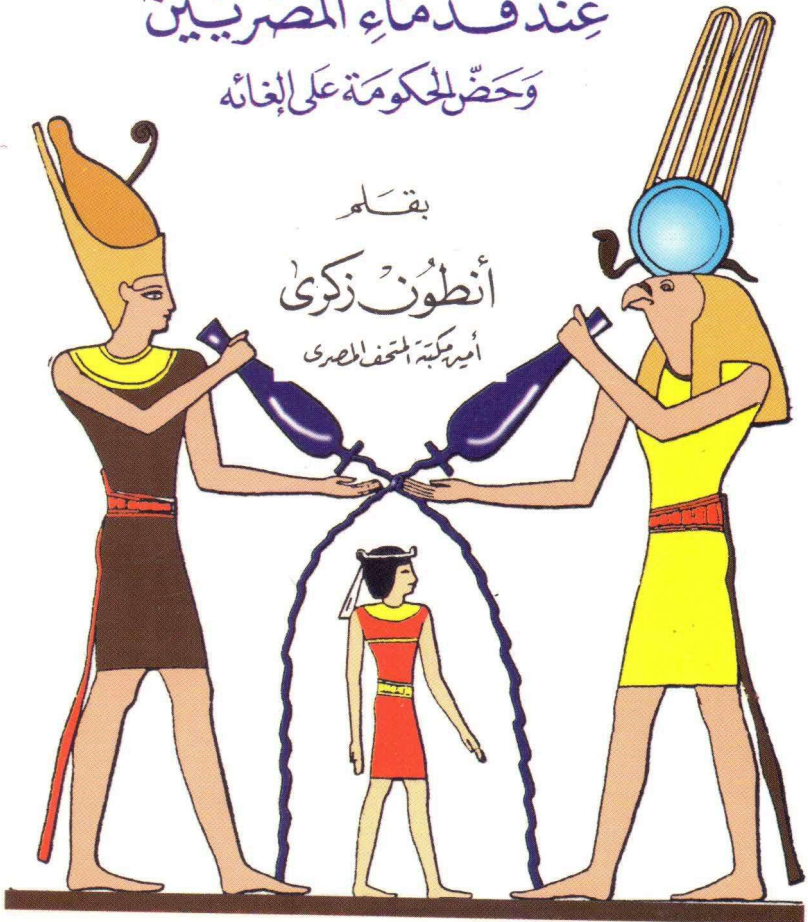


تَحْرِيرُ الْمِصْرَائِ

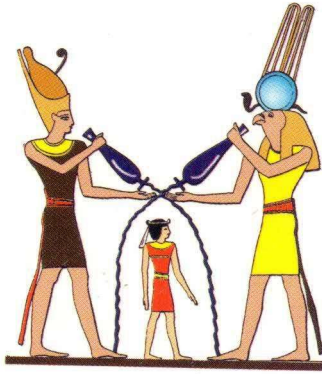
عِنْدَ قَدَمَائِ الْمَصْرِيِّينَ
وَحَضَّ الْحُكُومَةَ عَلَى الْغَاثِ

بِقَلَمِ

أَنْطُونْ زَكْرِي
أُمِيرُ مَكْتَبَةِ الْمُتَحَفِ الْمِصْرِيِّ



مَكْتَبَةُ مَدْبُولِي



MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

تَحْرِيمُ الْبَغْيَاءِ

عِنْدَ قَدَمَيْ الْمَصْرِيِّينَ
وَحُصَّ الْحُكُومَةُ عَلَى الْغَاثِ

تَحْرِيرُ الْبَغَاةِ

عِنْدَ قَدَمَاءِ الْمَصْرِيِّينَ
وَحَضْرَ الْحُكُومَةِ عَلَى الْغَاةِ

بقلم

أَنْطُونْ زَكْرِي

أُمِيرُ مَكْتَبَةِ الْمُتَحَفِ الْمِصْرِيِّ



مَكْتَبَةُ مَدْبُولِي

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

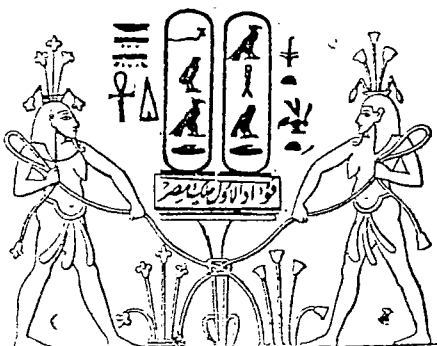
MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

ملكننا المعظم رافع لواء العلم في مصر





حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا
وكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية ورئيس لجنة بحث البغاء الرسمي
المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢ أبريل سنة ١٩٣٢



مقدمة

للنفس فى تطوراتها دوافع قهرية، فعند صفائها وطهرها تميل إلى الفضيلة والشمس، وعند انعدام الاعتدال وعند التطوح فى الانحطاط، تكون أقرب إلى الشر وأسرع إلى الإضرار والإفساد.

تداولت أقلام الباحثين فى هذه الأيام شذرات من نفثاتهم فى هذا الموضوع الأدبى الخطير، وأمام اختلاف الرأى فى إلغاء البغاء، وميل المتطرفين إلى إبقائه، لا بأس من لفت الأنظار إلى نظريات وجيزة تمهيداً للاطمئنان القويم بأن إلغاءه من مقتضيات الصالح العام، والنظام المحكم لحفظ كيان الشعوب، وصيانة الكرامة القومية بحفظ الأنساب على الأقل.

الإنسان بفطرته دراك حساس ميزه الله بالقوة العاقلة، التى كرمه وفضلّه بها على كثير ممن خلق تفضيلاً.

فإذا تطوحت فطرته إلى النقيصة، استباح فى سبيلها إتيان جميع تصوراته الشهوانية، فلا تردعه شهامة النفس، ولا حقوق الآداب عن التلوث بالشائعات، فيندفع فى سبيلها بما تسول له هواجسه الشريرة، ويتوسع فى وسائلها غير مبال باستنكار أو انتقاد، وهذا ما يسمى عند علماء الاخلاق بفقدان الحياء، والحياء يودعه الله فى النفوس التى أراد تكريمها، فيزجرها عما لا يليق، ولهذا جاء فى بعض الأحاديث المأثورة : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».



فالحياء بهذا المعنى هو السياج الرادع، والحاجز الأكبر ليصد النفس عن تطورها في الرذائل.

والحالة الشهوانية تخرج آدمى المنقاد لها عن الكمال اللائق ببنى الإنسان، فيقترب ما هو ألصق بالصفات البهيمية لا بذاته الشريفة.

وتتأصل داعية الفجور في النفس «عند تسفلها» وتزودها بالجرأة وعدم المبالاة، فتسير في هذا الانحطاط بدوافع ذميمة، وتجب إليها الفساد واغواء الغير عليه.

والبغاء من أشر الصفات الممقوتة دينا ونظاما، تنقاد إليه النفس بالحبائل الشيطانية، ودوافع الغرور المقترفة بالذهول عن العواقب، فيجتري الشاب أو الفتاة على اجتذاب الآخر إليه أولاً بأقرب المؤثرات وثانياً بالانهماك الذهني في ابتكار الحيل، وثالثاً باتمام الجريمة التي أصر على اقترافها. وهنا يتبدئ الكيان الخلقى في الانهيار والتلاشي، وتنبعث عند هذا الفريق الجريئ شرور التحريض والاغواء، وتوسع شناعة البغاء استباحة واستلذاذاً، لولاهما ما أقدمت النفوس الشريرة عليه، ولا تناقلت آثاره سيئات العادات ووسائل الفساد.

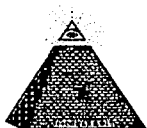
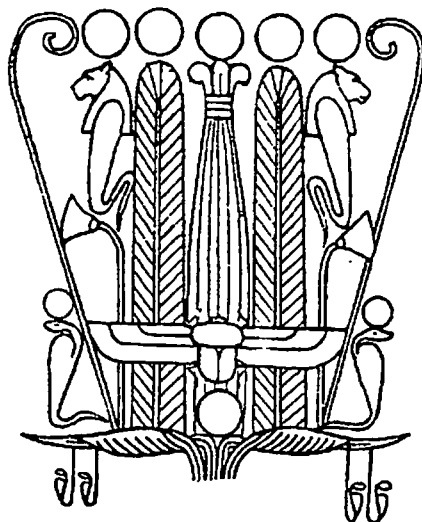
يتلخص من ذلك أن الغرائز غير القويمة فطرية في النفس، وكانت تزجرها عنها سيطرة العدالة المهيمنة على الشعوب والأقوام، وكانت الحالة الاعتدالية تشجع هذه الهيئة المسيطرة في هيمنتها.



فبعد أن اتسع المجال بالهوان النفسانى إلى هذه الدائرة السحيقة،
ذاعت موبقات البغاء أينما وجد الإنسان عند تغلب الصفات البهيمية
على القوة النفسانية المدركة.

هذا الإيجاز يكاد أن يكون تعريفا عاما لمبادئ النشأة الفطرية
للإنسان فى دور استقامتها، وكيف يطرأ عليها الشذوذ، فيخرجها من
دائرة الصلاح إلى الفساد.

ولكثير من علماء المصرين القدماء مباحث دقيقة فى هذا الصدد،
نقتطف منها ما يأتى، دلالة على أن الشعور الذهنى عند كافة
الشعوب، يدعو إلى الفضيلة ويستنكر الرذيلة مهما اختلفت الأوضاع
التشريعية والتقاليد القومية.

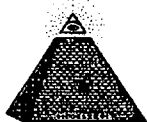


عناية الفراعنة بعفاف المرأة

قال العالم ديفور : «إن البغاء لم يعرف فى العالم، إلا بعد أن أباحت المرأة نفسها، كسلعة تتلقاها الأيدى فى الأسواق».

ومن النصوص القديمة لأهل كلديا وفينيقية وأشور، يفهم أن البغاء كان منتشرأ فى المدن الشرقية الكبيرة. وأن من عامة الشعب شواذأ يميلون عند تقلب الدهر بهم إلى استباحة نسائهم للفجور. ومن بين هذه النصوص ما يؤكد أقدمية انتشاره عند بعض الطائف اليهودية الذين كانوا مهادأ للجهر بفساد الأخلاق، حتى حقت عليهم لعنات الأنبياء واستوجبوا نقمة الله، كما جاءت بذلك نصوص التوراة المتعددة، ومنها أيضا أن اليونان بافراطهم فى محبة الجمال، وتجاوزهم فى ذلك حدود التعقل الطبيعى، تفتنوا فى استهواء النساء لشهوانياتهم، واستعانوا فى ذلك بأناشيد وأغانى الشعراء التى كانوا يلقنونها للعاهرات، تفانيا واسترسالا فى الإغواء، ويتمادى الوقت اقتدى بهم فى ذلك فريق الرومان الاشداء وتوسعوا فى الأساليب، حتى خصصوا له بعض الأماكن فى أقسام معينة من مدائنهم، ليكون فريق المتلاحقين بها آمنا من تعرض الناقمين عليهم.

وأما الفراعنة الأقدمون فى مصر، فكانوا بطبعهم الاحتشامى يوجهون عنايتهم ويقظتهم إلى توقيير الأخلاق القويمة، حتى لا يتطرق الفساد إلى الشعب إذا تهاونوا فى هذه الوجهة. فكانت شعوبهم تدرك منهم اليقظة والغيرة فى المحافظة على الآداب، وفى اجتناب المعيبات الأخلاقية، والعناية التامة بصيانة النساء، فإنهن أقرب إلى التأثير، أن



لم تحفظهن عناية الحاكم من أى مساس يؤدي بهن إلى السقوط فى المهالك .

واشتهر رعمسيس الثالث أحد أولئك الملوك العظام، بأنه كان يعد نفسه كجندى أو محام، ويجاهر على الدوام بأنه يخصص كل عنايته ومجهوداته للاحتفاظ بكرامة النساء، وغرس الاحتشام فى نفوسهن، حتى يكون فيهن سليقة متينة، لا تتجاوزها الرياح بسهولة . وكثيراً ما كان يصرح لرجال وقواده فى جميع الحفلات، بأنه لا يبيع أن تحس المرأة باضطهاد أو بامتهان، وأنه يفتخر باطمئنانها الأدبى فى عهده، فتذهب كيف شاءت، وتجتاز الطرق إلى المقاصد الشريفة، والرغائب التى تستدعيها شئون الحياة القويمة، آمنة من أن تمس بسوء حتى ولو من عيون الطير المحلق فى الهواء .

كان للمرأة المصرية بهذه النشأة عز القومية، وشمم الإباء، ووقار الصيانة، بينما النساء فى الشعوب الأخرى كان يحجر عليها فى الخدور، ويستبد بها الآباء والأقارب، كما كان يستعبد لها الزوج، ويقسو عليها أبناؤها بعد موته، كأنها من أجزاء المواريث، أو بعض الدواب المحصورة فى محتويات التركة، غير متمتعة بشئ من حقوقها الإجتماعية .

فكان لمصر فى هذا العصر الافتخار الأتم بتهديب البنات، وتعليمها علماً نافعا شاملاً للآداب والعقائد، ويهيؤها لأن تكون ربة





رئيس الثالث حامى المرأة المصرية القديمة فى عهده



بيت، تديره بالخبرة والأمانة والعطف على بنيتها، وحسن المعاشرة بين عائلتها، وإحكام الألفة بينها وبين زوجها فتزداد رابطتهما متانة وقوة بتقادم العهد، لتشبعها منذ صباها بالتعاليم القويمة، ووجودها فى بيثة صالحة، تذكرها بما نسيت من شئون الاعتدال وتعلمها ما جهلت من كمال التربية وحقوق العفاف.

فنشأت تلك المرأة المصرية على فضائل العفاف، والتقوى والأمانة، والميل إلى الخيرات والمبادئ الصحيحة، يؤلمها أن تقع فى عصمة زوج غير متصف مثلها بهذه الصفات، ولا تسمح لها كرامتها بتدنيس جسمها أو تاريخها، بما يضاد أى شئ من هذا النظام القويم.

فى آثار المصريين والأوراق البردية كثير من النصائح والحكم، ولكن قد لعبت بها أيدي التفريط والضياع، وعلى كل حال فالنذر القليل الموجود منها بين أيدينا اليوم كاف لاثبات الحقائق، الدالة على احترام مكانة المرأة فى عهد الفراعنة، وما ان لها من مجد الذات وعزة النفس.

ولما تغير كيان مصر الحكومى، تلاعبت الدول باستقلالها فى عهد سابق لألفى سنة، وتهاون الولاة الأجانب فى شئون البلاد، وتغاضوا عما يتعلق بصالحها الأخلاقى، كما هى عادة المستعمرين الذين لا يسرهم إلا إخضاع الشعوب، والاستغلال من طريق استرقاقهم، سواء حافظوا على شئ من تقاليدهم وعقائدهم وآدابهم، أو أضاعوا من

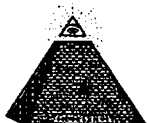


نفوسهم كل هذه المزايا، ما داموا خاضعين لنير الاستعمار، بتفريط أولئك الأجانب فى أزمتهى، وإلقائهم للنساء الحبلى على الغارب، تمادت المرأة إلى الطموح، ملقية بنفسها إلى مذلة الشقاء والهوان، وطابق ذلك ميول الإستعمار، فإن من أقوى الوسائل لإذلال الشعوب وإخضاعها فقدانها الكرامة القومية، وتجردها من الفضائل التى هى الأساس الأول فى قوة الارتباط يقظه العواطف.

تدرجت البلاد بهذا السبيل إلى الإنحطاط الأدبى، وتمهد الدور إلى خرابها، وتسلط عليها الهوان فى كل شئ، حتى جعلوا للبغاء فوق الإباحة نظاما حكوميا لتأمين الزانى والزانية، بعد ما جاء فى الكتاب العزيز : «ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله».

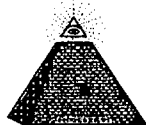
فما أبعد الشقة بين الأدوار الأليمة (فى عهد التسلط الأجنبى) التى توقع البلاد فى العار والمهالك، وبين الحكومات الوطنية الرشيدة، الحريصة جهد استطاعتها على محو كل شئ يشين سمعة البلاد، ويعطل سبيل سعادتها، فإن الحكومات الأهلية تأخذها الغيرة بكل معانيها على سعادة الأمة ووقارها، وتجديد الارتقاء والرفاهية بأقصى مجهود.

ومن الأدلة الحديثة العهد على هذا المبدأ، أنه لما تورطت مصر بتأثير الأجانب فى أحداث لائحة العاهرات، واتساع هذه الهوة لمن يأوى إليها من الأسافل والجهال، أدركت الخطر المنهك لهذا الفريق من مجموع الأمة، وأنه يعود عليها بالتآلم المؤثر فى تلاشى النسل، وفساد



الأمزجة، وانتشار الأمراض، وفتكها بين الطبقات، فأيقظتها ضرورة اتقاء هذه المهالك التى جلبت للبلاد كل نقص وخسران، فقوّلت بموجب الصالح العام، ووخزات الضمائر وتيقظ الفطن لتدارك الخطر، فقررت الإصغاء لصوت الحق بإلغاء البغاء، وعدم اتخاذه مهنة بين الرعاع والأسافل للارتزاق كما يزعمون، وشرعت فى استجماع الآراء للاقرار على تعميم إلغائه بكافة البلاد، لأن بعض النفوس الشريرة يدفعها التطرف فى الفجور إلى وقاحة القول بالعدول عن هذا المقصد الشريف، فأرادت الحكومة من باب مقارعة الدليل بالدليل تأليف لجنة، ناطت بها هذه المهمة لبحث أطرافها من كل الوجوه صيانة للآداب، ووقاية للصحة، وعناية بالتناسل، وعدم تعرض الشعب للتلاشى، كما حل ببعض البلاد فى حكومات أخرى من الدول الأجنبية، فاقتدت الحكومة فى تدارك الخطر بما سبقها إليه أولئك الرجال العظماء فى دولهم، (وهم أعمق فى المدنية الكاذبة الأوسع مجالاً للملوفات أولى الزينج والتطرف الجنونى فى مناصرة المفاسد).

أحست الحكومة المصرية بسوء العاقبة، لطول التهاون فى هذا الأمر، وألفت اللجنة التى عهدت إليها بالبحث، واستجماع الآراء الصائبة، لتأخذ من بينها النظام الحسن للزجر عن الفساد، والعودة ولو لدرجة معلومة، إلى ما كانت عليه البلاد من استقامة الأحوال، والتمسك بالحياء والوقار والشمم، وحفظ العائلات من المضار المفهومة، وأصدرت اللجنة مطبوعات ووزعتها على الجماهير، ليوضح فيها كل باحث أدلته على المنع أو الابقاء. نعم إن هذا الأسلوب لا



تدعو إليه ضرورة الحزم فى التشريع الادارى، ولكنها أرادت كما قدمنا مقارعة الحجة بمثلها، والوقوف على اتجاه الرأى العام.

ولكونى ممن شملهم حسن الحظ بوصول بطاقة من هذا المطبوع إلى، ولاتصالى بمعلومات تاريخية، عما يتعلق بهذا المبحث وأمثاله فى عصور الفراعنة، ولما كان الرجوع إلى التاريخ الموثوق به فى أمهات المسائل، مما يفيد الباحث أو المطلع، فقد دفعنى الواجب الوطنى لأن أكون فى جملة من قاموا بقسطهم فى هذه الخدمة الوطنية، ولخصت فى هذه العجالة موجزات، مما تيسر لى الاطلاع عليه من مؤلفات الأولين، تعظيماً لوجهة الصواب، واستنهاضاً لهمم ولاية الأمور فى اتمام ما بدأوا فيه بأسرع ما يمكن، قبل أن تصعد الروح من التراقى التى بلغتها، فإن المريض المحتضر بعد انقضاء نفسه الأخير، لا تجدى فيه المعالجة نفعاً، والجهلاء المنهمكون فى هذه السفاسف المهلكة، هم أقرب شبهاً بالمريض المحتضر، والمروءة تنادى الطبيب الماهر بالإسراع لحسن العلاج.



النصوص المنزلة في تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

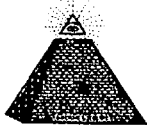
(مقتطفة من ورقة إبرس الطبية وهى أقدم كتاب فى العالم)

الكتب السماوية المتداولة الآن، كلها مجمعة على تحريم الزنا وتقبيلحه، وإقامة الحدود الزاجرة على مرتكب هذه الرذيلة الضارة بالمجتمع فى الانساب والآداب والأجسام. وكل الشرائع تنذر بالويل والشبور جميع الأمم، التى تفشو فيها هذه الفاحشة، وتنذر المنغمسين فيها بسوء المنقلب.

كل الطوائف المؤمنة بهذه الكتب، على اعتقاد بأن العقاب الدنيوى، إذا لم تقم به الهيئة المسيطرة، فالعقاب الأخرى لا مناص منه ولا فرار.

لا شك فى أن هذه الكتب السماوية المحترمة، جديرة بالإجلال من جميع الشعوب المتبعين لأحكامها، ففضلها وعدالتها ليس من مقصدنا الآن إطالة البحث فى موضوعه، فضلا عن كونه من المعلومات البديهية.

وإنما نقصد بما ننوه عنه فى شأنها أن أحكامها القويمة جاءت بها الكتب المقدسة الأخرى، فىكون الاستشهاد بطرف منها فى هذه النبذة برهانا فوق برهان، على أن البغاء مستقبح قديما وحديثا، وشذوذ بعض الأشرار لا يقبل أمام تلك النصوص المقدسة، فالجحود والإلحاد هما أيضا من أفظع المفاسد المزرية بهذا العصر.

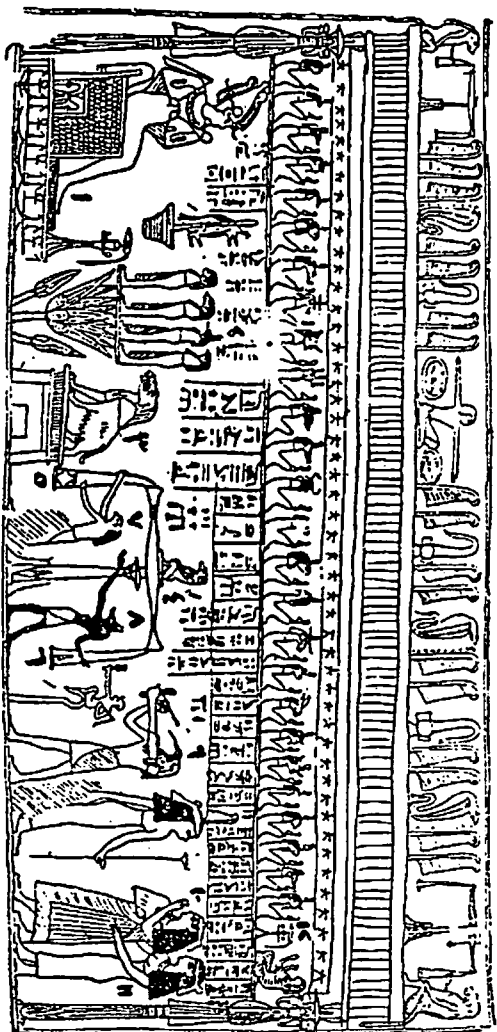


ومن الكتب التى نستأنس بنصوصها فى موضوعنا «كتاب الموتى» الذى يعتقد قدماء المصريين أنه من الكتب المنزلة فى العصور الأولى . ولفرط عقديتهم فيه كانوا جميعا يتواصون بتلاوته، وحمله للاتعاظ والاقتراء بوصاياه، وعندهم الإيمان بخلود النفس وعالم الدينونة عقيدة ثابتة لا تجهل، بل يتوارثون الأخذ بها جيلا بعد جيل كمعلومات روحانية، يتلقاها رجال الدين منهم ويرشدون إليها من دونهم، حتى بلغت بهم سعة العقيدة إلى الجزم بوجود وضع نسخه من هذا الكتاب مع الميت، لتقرأ منها روحه كل يوم بعض الأجزاء كما كان واجبا متبعا لديه فى حياته الأولى، وأن ذلك ينفعه فى آخرته، ومن أجل هذا الاعتبار سمي الكتاب المذكور «كتاب الموتى» وهو فى واقع الأمر شامل لكثير من النصائح والوصايا الدينية الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

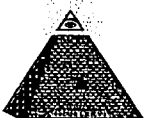
وفى الفصل ١٢٥ من هذا الكتاب تفاصيل عن محاكمة النفس بعد الموت وتمثيل لعرض الأشخاص بأعمالهم أمام محكمة أوزيريس، وأن صاحب الذنب يجتهد فى تبرئة نفسه، وفى مقدمة الذنوب التى بانكارها يستمد لنفسه المغفرة تبرؤه من الزنا.

وبهذا يستدل القارئ على أن فاحشة الزنا مستنكرة أمام الأخلاق القويمة، وأمام الأرواح الطاهرة، وأمام الكتب السماوية بأجمعها، وأنها من أفظع الكبائر، ولذلك يتدنى المذنب بذكرها فى مقدمة ما يتنصل به عن ارتكابه من الذنوب، طالبا باقراره أن ينال المغفرة.





رسم محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين من ورقة إبرس الطبية وهي
أقدم كتاب في العالم وشرحها وورد في صفحتي ٢٠ و ٢٢. وإذا شئت الإطلاع على
تفاصيلها فاقرأ كتابي «الطب والتجديت في عهد الفراعنة»



وإذ وصلنا فى الاستشهاد إلى ما يختص بالمحاكمة الأخرى أمام محكمة الديان أزوريس، فلا بأس من أن نلخص هنا عنها بعض الشئ، لأن هذه التفصيلات لا يستطيع أغلب الناس العثور عليها.

يرى القارئ من الصورة الخيالية «لمحكمة أزوريس» أنها كانت مؤلفة من أزوريس القاضى الأعلى (رقم ١ وحوله قضاة ٤٢) (رقم ١٢) وبين الهيئة ميزان (رقم ٤)، فى كفته اليمنى (رقم ٦) ريشة العدل رمزا للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق، وفى الكفة اليسرى (رقم ٥) قلب الإنسان رمزا لأعماله - ويراقبهما المعبودان حورس برأس صقر (رقم ٧) وأنوبيس برأس ابن أوى (رقم ٨) وقاضى التحقيق (الاحالة) (رقم ٩) المعبود تحوت برأس الطائر إيبس، حاملا بيديه سجلا فيه أعمال الميت فيدون نتيجة الحكم.

يقف الميت (رقم ١٠) على باب قاعة العدل، وخلفه المعبودة (ماعت) إلهة العدل (رقم ١١) ويدافع عن نفسه بإنكار ما نسب إليه. وفى جملة أقواله «إنى ياربى وإلهى لم أرتكب الفحشاء، ولم أشته امرأة قريى» مما يدل على فظاعة الزنا وشناعته.

وبعد إتمامه الدفاع العلنى، يؤخذ إلى داخل المحكمة، ويناقش فى سجل أعماله أمام كل قاض على حدة.



فإذا ترجحت حسناته، فتحت له أبواب الجنة، وأذن له بالنعيم.
 وإذا تغلبت سيئاته، سلم إلى الوحش المفترس المدعو (مم) بالمصرى
 القديم (رقم ٣) ونفذ عليه العقاب بادخاله إلى النار وعذابها الدائم.
 والإطلاع على هذا الإيجاز، وعلى الصورة التمثيلية. كاف
 لإثبات ما كان عندهم من العقيدة فى استنكار المحرمات، وأن الزنا فى
 مقدمتها، وأن كل إنسان يلقي جزاء عمله خيراً أو شراً، كما تشير إليه
 الآية الكريمة «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة
 شراً يره».



أقوال فلاسفة قدماء المصريين فى تحريم البغاء

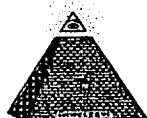
وتشديدهم العقاب على مرتكبه

ثابت أن العقل البشرى، إذا ترقى فى مراتب الإدراك والتهذيب استعذب مناهل الفضيلة، واستطاع نشر مبادئها بأقوم طرائق الحكمة والمواعظ الحسنة. وأولئك الفضلاء الملهمون بهذه المزايا، يمتازون بها فى الشعوب، وتذعن الأقوام لارشاداتهم والأخذ بمذهبهم.

ومن سعادة كل أمة أن يكثر فيها أمثالهم، يتعاونون على الثقافة الأدبية، فتسرى معلوماتهم بين الطبقات، وتحدث أثرها المشهود فى المجتمع بقدر استعداده.

وقد أمتازت الأمة المصرية بأفراد من مشاهير الأعلام، خصصوا حياتهم للإرشاد والتهذيب فكانوا خطباء نابغين، ووعاظا نافعين وفضلاء يقتدى بأرائهم وهم بنور الفطنة وسمو العقل ينطقون بالحكمة عن تكيف الوجدان بالحقائق الإيمانية. وكل ما يصدر عنهم يتلقاه الناقلون أثراً مشكوراً وكتاباً مسطوراً. ومنهم حكماء أتقياء وجهوا اهتمامهم إلى سعادة الشعب بأقوم الوسائل، فأجمعوا على أن من أقومها اجتناب المحرمات، وأن أشدها فى الوزر والإجرام جريمة الزنا التى نحن بصدددها، وعلى أن التبكير بالزواج كافل لقوة النسل ومانع من أمراض السيلان وتوابعها.

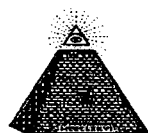
وكتب الشرائع مستفيضة بالنصوص النقلية كتعليمات مقدسة، وهى عالقة بالأذهان، ومن قبيلها ما وجد فى الأوراق البردية الأثرية،



ومن بينها كتابان، أولهما أقدم ما استطاع الاكتشاف العثور عليه، إذ مضى على تاريخه ٥٥٠٠ سنة أنشأه الفيلسوف (كاجمنا) الوزير الأول للملك حونى من الأسرة الثالثة، والثانى كتاب للفيلسوف بتاح حتب وزير الملك أسى من الأسرة الخامسة، كتبه وعمره ١١٠ سنوات، وفي كليهما المواعظ الحسنة والإرشادات النافعة، ونقتطف منها ما يختص بجريمة البغاء:

قال «إذا إيتمنك الصديق بمقتضى المخالطة على أسرارهِ العائلية، ومنحك ثقته وسمح لك بالتردد على دارهِ، فاجتنب أمام ذلك أن يجول بذهنك أى خاطر سيئ أو يمس كرامة العائلة أو يغرى بك على خيانتها. فإن هذه المفاسد تهدد فاعلها بالدمار، وتعرضه للنقمة الآلهية، وتحتم عليه الجزاء الأليم. فمس الأعراض وخيانة الأمانة ومحاولة الإفساد، مع من حزت ثقته وعول على صداقتك جريمة كبرى يتضاعف عليها العقاب عند الله جلّت قدرته، وتؤدى للفضيحة والمقت بين الناس، لأنها إخلال بنواميس الطبيعة وخروج على نظمات الشرائع».

(ب) وتوجد بالمتحف المصرى ورقة بردية، لها فى التاريخ قيمتها الكبرى تعرف بورقة بولاق، وكانت من محفوظات المتحف المصرى حال وجوده بتلك الضاحية من أقسام القاهرة، وهى الآن فى محفوظات قاعة البردى بالمتحف المصرى، وفيها من الحكم البليغة ما



يجتذب المدارك، ويوقظ الألباب، وتاريخها يرجع إلى ٣٠٠٠ سنة،
وهى للفيلسوف آتى لتلميذه خونسو حتب، ونقتطف منها الفقرة الآتية
الخاصة بجريمة البغاء :

«لا تترك قلبك ألعبوبة فى الميل نحو النساء، فإن ذلك يذهب بقوة
دينك وعلو شرفك وأدب نفسك. فالمرأة بما أوتيت من الدهاء، وتأثير
الأنوثة من أقوى حبال الشيطان، وهى كالبحر العميق الذى لا يرحم
من استهواه إلى قراره. وإذا كتبت إليك امرأة عن غياب زوجها،
واستدعتك للتردد إليها بهذا السبب، فاعلم أنها تنصب لك شباك
الهلاك، لأن النفس أماراة بالسوء، والموبقات طريق سحيق إلى الوبال،
وغائلة المرأة لا تؤمن فى حديثها الشهوانية».

(ج) وهناك ورقة بردية أخرى شهيرة بورقة لندره، وهى الآن فى
مخطوطات المتحف البريطانى، تاريخها يرجع إلى الأسرة ٢٢ أى منذ
٣٠٠٠ سنة، وهى عن الفيلسوف المصرى القديم (أمنيت بن
كانخت). ومن المأثور فيها عن استنكار البغاء والتحذير من عواقبه
الوخيمة الفقرة الآتية :

«لا ترسل نظراتك إلى جارئك، فإن إطلاق النظر إليها، يجعلك
كالذئب فى خبثه، لأن للجوار حرمة يجب الاحتفاظ بها»^(١).

(١) وإلى هذا المعنى أشار بعض شعراء العرب فى التحدث عن عفة النفس.

وأغض طرفى أن بدت لى جارئى حتى يوارى جارئى ماواها



(د) وتوجد ورقة بردية رابعة تعرف بورقة (لید) المحفوظة بمتحف لید (وهذه بلدة بهولاندة الجنوبية) تاریخها منذ ٢٥٠٠ سنة تقريبا، ومن فقراتها العبارة الآتية :

«لا تجعل قلبك يشغل بمحبة امرأة أجنبية، فتفسد حياتك وتوقعك فى المهالك، فأشرف الصفات للمرأة الجميلة توقد العقل الزاجر لها عن المنكرات، والمرأة العاقلة تكون سبباً لسعادة زوجها، والشريرة تعرضه للفقر الدائم ونكد الحياة.

(هـ) ومن وصايا أحد قدماء المصريين فى التحذير من البغاء :
«أيها الشاب إذا أحببت فتاة عذراء، فاجابتك للاقتران، فاياك أن تخون الزوجية، بعد اتمام الصلة العائلية، التى على صيانتها حياة المجتمع ونظامه، فإذا وقعت فى هذا الجرم فقد خنت المروءة، وأغضبت الرب، وجلبت على نفسك الضرر والاحتقار».

وأمثال ذلك كثير فى هذه النفائس التاريخية. وقد أوردنا ما وسعه المقام، دلالة على أن جريمة الزنا تستنكرها بالفطرة الأذواق، والطبائع القويمة، والشرائع الحكيمة، والقوانين الوضعية فى سائر العصور.

وكان قدماء المصريين يشددون العقاب على الزانى، أملا فى الزجر، ورغبة فى الصيانة. ومما أورده المؤرخ ديودور الصقلی أن قوانين المصريين القديمة، تعاقب من زنى بامرأة كرها بقطع أعضاء التناسل، وأن كان بغير إكراه فيجلد الرجل ألف جلدة ويقطع أنف المرأة، ويصفون هذه الموبقة بأنها جامعة لمضار كثيرة: الإهانة العائلية والإخلال بالنظام، وفساد الأخلاق، والتباس النسل.



(ز) وقد بلغ تخوف القوم من الوقوع فى الزنا، بعد إبرام عقد الزوجية، أن جعلوا له بعض القيود لتدوينها فى ذاك العقد بأن الزوج إذا أخل بحقوق المعاشرة أو مال إلى امرأة أجنبية، يؤدى ترصيه للزوجة مبلغا من المال، وكذا إذا خالفت الزوجة عهد الأمانة وحقوق الألفة وإخلاص الضمير تؤدى للزوج مبلغا معينا.

وهذه الاشتراطات مدنية بحتة، لا تكفى للزجر ولا تقوم بالمنع، إن لم تقترن بها عقوبات جزائية أمام هيئة دينية توبخ المخطئ وتزجر الغير عن الاقتداء به، فإن النفوس مهما جمحت تتقى شر الافتضاح وتحتاط فى منع اللائمة العلنية التى جعلتها الشرائع من أركان الزجر ومؤثراته الأولى.

فقدماء المصريين وفضلاؤهم، مهما وصفت عصورهم بالتفاوت عن رونق العصور المدنية الحاضرة وما قبلها، فهى أبلغ فى الزواج الدينية مما عليه الحال فى التطورات العصرية الحديثة. وقد صدق الحديث المأثور : «بأن شر الأمور محدثاتها» فإليهم مرجع الفضل فى الاحتياط الكلى لحفظ المرأة من الدنس وصيانة الأخلاق من الفساد، لأن سياج الدين واحتياط التشريع والأخذ بالأسلوب الآقوم فى تقدم الشعوب واستقلالها، يحتاج نشاط المرأة وعفافها وأمانة الرجل ووقاره. فإذا اختل ركن من ذلك، فلا يرجى للشعب أن يعيش رفيع العماد، كما كانت عليه منزلة الأمة المصرية، قبل أن ترزأ بمصائب التقليد للعادات الأجنبية، وشذوذها التى يزداد بنا أضرارها كل جيل عما قبله.



ابلاغ عقاب للزاني والزانية عند قدماء المصريين

أو قصة خوفو الملك وكبير أمنائه الساحر

وقصة فيرون الملك نقلا عن هيروdot

أحاط القارئ علما بما كانت عليه سجايا الأمة المصرية في عصورها الأولى من الشمم والاحتشام، وأن التطور الحديث المأخوذ عن الإقتداء بالعادات الشاذة من أسافل بعض الأمم الأجنبية، جعل البلاد تهوى تدريجيا إلى مهالك التسفل الخلقي المؤدى للهلاك. الباعث على سوء الأحداث، وإلى فقد الحياء، وانتشار الوقاحة، حتى بلغ التشرد في بعض النفوس الشريرة إلى المباهاة بالنقائص وعدم المبالاة في الاستدعاء إليها. وأمامنا من الحوادث اليومية الشيء الكثير المؤلم للعواطف المزعج للطمأنينة العامة، وعلى الأخص إذا لاحظنا أن البعض من ذوى الترف واليسار، أكثر انغماسا في هذه المزيريات أما لتطوحه فيها، وإما لقصوره وتقصيره في أن يدرأ عن نفسه كل شائن، وإما لتطرفه في المظاهر الجنونية، بجعل المرأة راتعة في الملاهي كيف شاءت، يرتاح إلى كل أفعالها ونزالها في الإنحطاط إلى أقصى مذاه.

تنشر الجرائد اليومية بعض الوقائع المحزنة المخزية، ثم تنطوى تلك الصحف ويعود المجرم والمجنى عليه إلى مجالسات، كان الأولى بهما بعدها سكنى القبور، لا التمتع بالمظاهر والقصور.

نذكر القصة الآتية ليتعقل منها القارئ الفرق الشاسع بين الفضائح الملموسة كل وقت، حيث لا زاجر ولا رادع، وبينما كانت عليه عزة



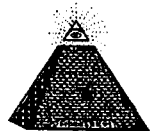
الصولة وقوة الفتوة النفسية فى عهد الملك خوفو مشيد هرم الجيزة الأكبر وكبير أمنائه الساحر . وهذه القصة مقتطفة من فقرات مدونة فى ورقة بردية مشهورة بورقة «وستكار» ومحفوظة بمتحف برلين ، ويرجع تاريخها إلى الأسرة ١٢ أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريبا .

وخلاصة ما نقتطفة عنها ينحصر فى الآتى :

ذهب هذا الملك العظيم الشأن ، الذائع الصيت ، القوى السطوة كعادته المشهورة فى شعائر البر والتقوى إلى زيارة هيكل الأله بتاح ، مصحوبا بحاشيته ورجال دولته ، ومن بينها كبير أمنائه (أبا انير) . فرأت زوجته بين المرافقين لحاشية الملك شابا أنيق الطلعة ، جميل المياسم ، تجمعت فيه أنواع المحاسن ، وهو فى عنفوان الشباب ، وقوة الثائرة الآدمية ، هو أيضا من ذوى الثروة المعدودة . ووهب حظا من افتنان النساء به ، وقد شغفت به زوجة كبير الأمناء ، وأصررت على اجتذابه إليها واستمراره فى مودتها .

استعانت فى إتمام ذلك بخادمتها ، فأوعزت إليها بمقابلته بعد انصراف الملك من زيارته ، وأفهمته الخادمة بأن سيدتها تدعوه لزيارتها ، وأنها مهدت له وأنها مهدت الطريق فى الذهاب والإياب ، ورتبت ما يستدعيه غرامها لظروف الموانسة به كيفما شاءت وشاء لها الهوى .

أجاب الشاب هذا الطلب ، لأنه كان يلقي إليها نظراته فى كل مرة رآها مع زوجها أثناء تأدية الملك لبعض الزيارات أو الحفلات الملكية الكبرى ، وما يتخللها من تأنق تفوق به أمثاله فى أساليب الترف والدلال .



عادت الخادمة إلى سيدتها فرحة مسرورة، وأكدت لها تلهفه إلى ما تحب منه، وأنه تسلم منها علبة الملابس والهدايا التي كانت بعثتها له مع الخادمة.

ونجحت الزوجة في تربيها، واستمر الشاب في زيارتها أوقاتا عديدة، لا يباليان برقيب، ولا يخافان امتداد العيون إليهما، لأنها كانت ممتعة من زوجها بقوة الثقة، والنفوذ الواسع في كافة التصرفات البيتية، وأحوالها الشخصية، وتغدق بالاحسان على من تشاء من الخدم ليزدادوا طاعة لأوامرها، وحرصا على استرضائها وكتمان أسرارها.

وفى ذات يوم طلب الشاب إليها أن تكون معه فى كشك البحيرة المسماة باسم زوجها، ولها فى المملكة شهرة كبرى بدقة الزخارف وأنواع الزينة، وفى وسطها ذاك الكشك الحاوى لكثير من المخادع والأسرة التى تفنن فيها الزوج لاستجماع لذاته وقت استمتاعه بحليلته.

أذعنت الزوجة لهذا الطلب، وأمرت ناظر البحيرة باعداد الكشك على أجمل أسلوب ورونق، فنفذ أمرها بأسرع ما يستطاع، وبادرت الزوجة وعشيقتها ومعهما الخادمة إلى البحيرة والكشك، وأنساهما صفو الشراب والنشوة والبهيمة نفسيهما، فمضى بهما اليوم كلمح البصر، أشرفت الشمس على المغيب، وشرعا فى الإنصراف، وكأنها تريد الاحتياط فى مبارحة المكان ورجوعها إلى القصر حتى لا يؤلم زوجها عدم وجودها فيه. وتغافل عاشقها عن ضرورة الاسراع فغطس



فى البهيرة بدون احتياج إلى ذلك؁ ولكن كأن ظروف الءواء أءهله
عن عيون الرقباء؁ فرآه على هذه الحالة ناظر البهيرة؁ واستنكر كل ما
ءصل؁ وناجاه ضميره بالواجب عليه إءلاصا لسيده.

وفى اليوم الثانى أعلم سيده بكل ما رآه؁ فأمره سيده بالتانى
وعدم إءاعة الءبر وبتفiez التريب الذى سيامره به .

وطلب كبير الأمناء من ناظر الءيقة التوجه إلى القصر؁
ليستءضر له منه ءقية شرح له أوصافها؁ فأءضرها واستءرج منها
كبير الأمناء كتاب الأرصاء السءرية؁ ثم صنع تمثالا من الشمع بصورة
تمساح؁ طوله سبعة أصابع وقرأ على هذا التمثال صيغة من سءرياته؁
وأمر التمثال بقوله : «عند ما ترى عاشق الزوجة يموج فى البهيرة؁
فاجتذبه إلى أعمق مكان وأغرقه فى الماء».

وسلم كبير الأمناء إلى ناظر البهيرة هذا التمثال؁ وأفهمه بإلقائه
فى الماء حالما ينزل إليه العاشق؁ وأن لا ينفوه بشئ ءتى ينفذ فيه إراءته
وانتقامه .

وفى اليوم التالى ءضر إلى البهيرة العاشقان كعاءتهما؁ ثم نزل
الشاب إلى البهيرة؁ وأسرع ناظرها لإلقاء التمثال فى الماء؁ فاستءال
التمثال ءيوانا بطول سبعة أءرع وصار ذا إراءة لتفiez ما أوحى إليه به
بقوة الساءر المار ذكره؁ وجذبه إلى جزء عميق واستمر به ءء الماء
سبعة أيام .



وتصادف أن الملك أراد زيارة أخرى للهيكل وفي جملة حاشيته ورجال دولته كبير الأمناء المذكور، فتقدم هذا إلى مولاه الملك، مسترحما أن يتنازل إلى رؤية أغرب حادث من المعجزات الكونية التي حدثت بدائرة ملكه، فأجاب الملك برغبته في الذهاب معه، ليرى ما يقصه عليه.

ولما وصلا إلى البحيرة، نادى كبير الأمناء التمساح، فخرج فوق ظهر الماء يحمل ذاك الشاب، وعندها أمره بالتقدم به بين يدي الملك، فاندھش الملك لغرابة المنظر، واستبشع شكل التمساح، وقوة ضغطه على عتق ذاك الإنسان، وشرح كبير الأمناء تفصيل الأمر لفرعون الذي أمر التمساح بالتهايم الشاب، فذهب به التمساح إلى مكان مجهول، وبعدها لم يوقف له على أثر، فكانه نفذ فيه عقوبة الإعدام كاشارة الملك.

وأمر الملك بعد ذلك بإحضار زوجة كبير الأمناء إلى قصره، لينفذ فيها العقاب بالإحراق لخيانتها الأمانة في حق زوجها، ولكونها لم تحتفظ لذاتها بكرامة وجودها في حظوة الملك مع زوجها أثناء التشريفات والحفلات الرسمية. وفي اليوم الثاني استحضرت وأحرقت جثتها وسحقت رماداً وألقوه في النهر.

من هذا نستنتج أن الملك قرر إغراق الزاني وأحراق الزانية لشناعة الحادثة وغرابة أسلوبها حتى لا يجترئ أرباب الفساد من الفريقين على ما يماثلها، صيانة للكرامة والآداب، واحتراما لحسن الصلات الاجتماعية.





الساحر والتمساح (نقلا عن بيري)

ويلى ذلك الحادثة الآتية، وهى تدل على إفراط القوم فى
عصورهم بالاعتقاد فى الانتفاع من المرأة بكل مزاياها إذا امتزجت
العفة بجزئيات دمها، وامتلاأت حواسها النفسية بفضائل الطهر
والنزاهة، حتى صار الطهر الخلقى عنصراً من تكوينها، فتكاد لمداناتها
من منزلة التقديس أن تعطى منحاً فى الإبراء من الأسقام وإنقاذ
الأجسام من المهالك.



وخلاصة هذه الحادثة، نقلنا عن هيرودوت المؤرخ اليونانى من كتابه الثانى الفصل ١١١ كما يأتى :

«بعد موت سيزوستريس تولى ابنه فيرون، ولم يتقدم للغزو. وطغى النيل فى أوائل أيامه، فأغرق كثيراً من البلاد، واقترن ذلك بعواصف عمومية هيجت اللجج، ودمرت المباني، فاعترت ثورة جنونية ورمى بحرته فى الماء، فأصاب عينه مرض فجائى وكُفَّ بصره، واستمر على هذه الحالة عشر سنوات. وفى السنة الحادية عشرة، بعث إليه الكهنة خطاباً يخبرونه فيه بأن مدة عقوبته الإلهية على هذه الرعونة قد انقضت، ويمكنه أن يسترد بصره، إذا غسل عينيه ببول امرأه لم ينكشف عليها غير زوجها. فامتحن بول زوجته ثم نساء كثيرات ولم يقدر له الشفاء. وبعد اليأس أهدى أخيراً إلى امرأة (من الخاملات الفقيرات) فاغتسل ببولها وتم شفاؤه، ثم استجمع فى مدينة «أريتروبوليس» كل من امتحنهن وأحرقهن جميعاً لا تضاح الريبة فى سلوكهن، وأبقى تلك المرأة التى كانت سبب شفائه وتزوجها».

فالإفراط فى العقيدة أساغ له الاستفادة ببول امرأة تحلت بنفسيتها بكل معانى الطهر والعفاف، فاقترن بها بعد إحراق زوجته، ومن كن على اتصال بها فى قصره، إثارةً منه لفخر الانتصار للفضيلة على كل مجاملة يراعيها غيره فى توقيع العقوبات الزاجرة، لأن وجهة الحض على الصالح فى صيانة العفاف العام، أفضل بكثير من الإنقياد لسخافة المجاملة.



فساد المرأة يهدر حياتها

أو قصة الأخوين

مهما بلغت المرأة الفاضلة من فضائل التهذيب ومحاسن التعليم النافع، ومهما وصلت استنارتها بالمبادئ الرشيدة، واستفادتها من الوسط الصالح بمزايا التقوى والاستقامة، فإن طبيعتها الأخرى فى الحلقة النوعية المستعدة بتكوينها لأعمال الشرور والفساد، لا تنزجر عن هذه النقائص بما تعلمه، وتراه عن سجايا غيرها التى تقابلها الجماهير بالثناء والارتياح، بل إذا وجدت بيئة صالحة للشذوذ عن جادة الصواب شذت عن الفضيلة واتبعت هواها.

هذا الفريق الشاذ لا يقدح فى كرامة الفريق الأول، ولا ينقص من قدر المباشرة بطهارته ونزاهته.

بل كأنما أسرار المقادير جعلت الكون يشمل المتناقضات، ليكون الفريق الجدير بالاحترام أكثر وضوحاً فى الاعتراف له بالنزاهة والكرامة، وأحقية الاقتداء به، وتحثيم النفور عن الفريق المزدري، الذى تقابله الأذواق القويمة بالاحتقار وتتوعده الشرائع بالانتقام. ومن هنا جاء المثل السائر : (وبضدها تتميز الأشياء).

ومن الأقايصيص التاريخية التى هى برهان ساطع على الحقائق التى لا تتغير فى مختلف الأزمنة الماضية والحاضرة ما نشر فى ورقة بردية اشترتها السيدة (أوربيني) بمبلغ وافر، وهى مكتوبة بالخط الهيراطيقى، ثم باعته إلى المتحف البريطانى سنة ١٨٥٣، وتاريخها



منذ ٣٠٠٠ سنة. ولأهميتها اعتنى بترجمتها إلى لغات كثيرة أفاضل الكتاب الحريصين على إذاعة وتداول القواعد الأخلاقية الأدبية المنشورة في هذه الورقة. ومن محتوياتها قصة الأخوين وخلاصتها :

* * *

كان أخوان شقيقان أكبرهما اسمه (أنوبو) وأصغرهما (بوتو) وكان يشتغلان في الأعمال الزراعية، واستخراج كنوز الأرض بواسطة مجهوداتهما وخبرتهما الفنية.

وبحكم العاطفة العائلية، كان الأخ الأكبر يؤوى معه في معيشته أخاه الأصغر ويعامله كابنه، وزوجة الأكبر لاحتاسها من زوجها بهذه العاطفة كانت تعتبر الأخ الصغير كابن لها، واستمرت عائلتهم على هذا الارتباط والتآلف والقناعة من هذه الدنيا، بما يحصلان عليه من ثمرة الكد والترتيب والاقتصاد في المعيشة.



يذهب أنوبو وأخوه بوتو إلى الغيط

(نقلا عن بترى)



وبينما الأخوان فى أرض الزراعة، طلب الأكبر من الأصغر التوجه إلى منزلهما فى القرية، ليستحضر له بعض التقاوى المدخرة لزراعة أرضهما، فتوجه الأخ الأصغر إلى منزلهم، وبدخوله الغرف، رأى زوجة أخيه مشغولة فى تزيين شعرها كعادة النساء الريفيات وقت الفضاء من أشغال المنازل. ولما سألته عن سبب حضوره مبكراً عن الوقت المعتاد، أجابها إن أخاه أرسله ليستحضر له جانباً من التقاوى النقية، فأمرته بالتوجه إلى أحد المخازن الموجودة بها المحاصيل، ليأخذ بنفسه ما يشاء حتى لا يعطل عليها إتمام الزينة لشعرها وثيابها.



زوجة انويو تداعب (بوتو) وهو خارج من مخزن الغلال

(نقلا عن بترى)



فتوجه هذا الأخ الخاضع إلى حيث أمرته امرأة أخيه، واستحضر
 حقيقة وملاها من تقاوى الحبوب المطلوبة. ولما هم بالخروج من
 المخزن، لحقت به وسألته فأخبرها بكمية التقاوى وهى ثلاثة أكيال من
 الشعير وكيلان من القمح. وهنا لم تقف معه فى الحديث إلى هذه
 النقطة، بل ابتدأت على غير عاداتها فى توجيه عبارات المداعبة مثل
 قولها إنه تام العضلات، حسن الخلقة، وافر القوة، نشيط فى كل شئ
 وقولها أننى أتمنى الاستفادة من نشاطك لنجلس معا بقدر ما يسمح
 الوقت وأبيح لك منى ما يشاققه الشاب مثلك، وانى مستعدة لأن
 أصنع لك كثيراً من الثياب الأنيقة دلالة على ميلى إليك، وأؤكد لك
 بأنى أكرم عن أخيك كل شئ بحيث لا يعلم أى حركة مما أدعوك إليه
 ولا بما يستمر بيننا فى المستقبل.

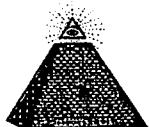


يرجع بوتو من الغيط فى المساء حاملاً أدوات الزراعة
 (نقلا عن بترى)



عندما سمع الأخ الصغير منها لكلام السمج الشاذ عن مآلوفات سمعه، المتنافى لإعتدال طبعه، المضاد لأمانتها فى حقوق زوجها، أظهر لها الغضب والاشمئزاز ووبخها بلوم عنيف، وتركها محترقا إياها، أسفا على هذا الجنون، ووصل إلى أخيه فى المزرعة، واستمر فى أعماله اليومية حتى اقترب وقت الغروب، فانصرف الآخر الأكبر إلى القرية، واستمر الأصغر فى جمع الماشية وأدوات الزراعة ليرجع بها إلى اسطبل المنزل كطريقتهم المعتادة، ولم يجعل لتلك الحادثة أثرا فى نفسه وأصر على كتمانها عن أخيه، حتى لا تتكرر الصلة العائلية.

استمر الأخ الصغير على هذه السرية الطاهرة فى نفسه، ولم يعلم بما دبرته له زوجة أخيه الأكبر من الكيد وإيقاعه فى الهلاك. فانها بعد مبارحته إياها، قامت فى نفسها الهواجس، وظنت أنه يحيط إخاه علما بخيانتها، فاصطنعت لنفسها دهنأ وثيابا غير المألوف فى لبسها الاعتيادى، وصارت تتظاهر بالتأوه والضجر، فأظهرت ضعف القوة وآلما جسدية حتى أتى زوجها من الغيط، فلم تستقبله بالبشاشة ولا الحفاوة المعتادة بينهما، ورأى البيت مظلما ومصابيحه لم توقد، فذهب إلى مضجعها على هذه الحالة مستدلا بالصوت والتأوه على مجلسها حتى وصل إليها وابتدأ يناقشها فى مخالفتها للعادة المتبعة.





يرجع انوبو إلى منزله فيجده مظلماً

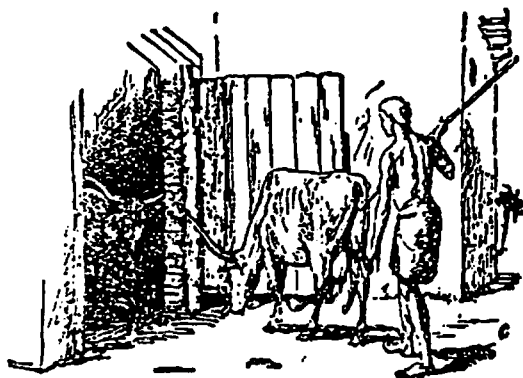
(نقلاً عن بترى)

عند ذلك نهضت من رقادها، وقصت عليه ما أثار غضبه ضد أخيه، وافترت عليه أنه راودها عن نفسها، فامتنعت ووبخته وهي لا ترضى الإقامة على هذه الأهانة، ومس الكرامة من شاب صغير، كانت تعامله بحنان الأم على طفلها وطلبت الانتقام لها منه، حتى تأمن على عيشتها معه بطمأنينة وصفاء، وإن لم يبادر إلى ذلك، فلا محيص لها من الانتحار تخلصاً من العار.

لم يتمالك الزوج من غضبه، عندما سمع منها هذا البهتان، واعتقد صدق روايتها، وامتلاً حقداً وغضباً على أخيه، ووقف متربصاً له خلف باب الدار العمومي، ويده سكين ذات حدين ليطعنه بها عند دخوله.



فى هذه اللحظة قدم الأخ الأصغر، ومعه الماشية والأدوات الزراعية، وأحمالا من البرسيم على بعض الأبقار، وعند اقترابه من الدار، التفتت إليه إحدى البقرات، وأخبرته بأن أخاه يريد به الشر، إرضاء لزوجته فى نكايتها، ثم أخبرته بكرة ثانية بهذا الخبر المزعج. لم يكن للأخ المسكين بدٌّ من التأمل فى الأمر. فبينما هو ينظر إلى حوش الدار رأى أقدام أخيه بارزة خلف الباب، والأخ الأكبر مختبئا خلفه بالتربص التام للفتك به.



يعود بوتو إلى منزله ومعه المواشى وينتظره انوبو خلف الباب

(نقلا عن بترى)

عند ذلك هرول الأخ الأصغر للهرب، فتبعه أخوه الأكبر شاهراً السكين بيده، فازداد الأصغر سرعة فى الخطوات، حتى وصلا إلى بعض أماكن الفضاء البعيدة عن البلد.



ولما أحس بأن أخاه كاد يلحقه رفع بصره إلى السماء، وصار يستغيث بالآله (ف - رع حرمخيس) وقد أجيب دعاء هذا المسكين . صار الفضاء بينهما بحراً مملوءاً بالتماسيح . وهنا استطاع المظلوم أن يطلب من أخيه المبيت فى موقعهما، يفصل بينهما البحر المذكور حتى طلعت الشمس، وعندما شرح المظلوم قصته لأخيه مستشهداً بعدل الاله الذى أغاثه مبدئياً بإيجاد البحر والتماسيح ليكف عنه أذاه .



يفصل البحر بين الأخوين أنوبو وبوتو

(نقلا عن بترى)

فأدعن أخه لكلماته، وأقسم الأصغر لأخيه أنه لن يعود إلى معاشرته، لأنه صدق وشاية زوجته، ولم يستجوبه عنها، وأراد التسرع فى قتله مرضاة لها .

ثم تناول الأخ الأصغر منجلا، وقطع به إحليله، والقاء فى البحر، فابتلعه حوت، كأنما كان واقفاً لذلك بالمرصاد، وهنا كأنما



أغمى على الأخ الأصغر . ولما أفاق أقسم لأخيه أنه سترك الدنيا بحذافيرها لمن فيها، ليستريح من عالم الشقاء وسفالة الأشرار .

فالأخ الأكبر لما رأى أخاه على هذه الحالة ، وأنه لم يستطع الوصول إليه فى الشاطئ الآخر لأمّتلاء الفضاء بالبحر والتماسيح ، أسف حيث لا ينفع الأسف . وهنا استطاع الأخ الأصغر توجيه اللوم إلى أخيه الأكبر ، وطلب مه الالتفات لأحواله ، وحذره من الانقياد لوشاية النساء ، وأمره بالذهاب إلى داره ثم فارقت الروح الأخ الأصغر ، والتحق الأخ الأكبر بداره ، وقابل زوجته وقص عليها التفاصيل التى لم تستطع إنكارها ، ثم أغمد فيها الخنجر الذى كان أعده لقتل أخيه ، وقطع جثتها أجزاء وأطعمها للكلاب لأن الزوجة الخائنة لا تستحق الكرامة بالدفن .

وهنا أحاق المكر السيئ بأهله ، ومات الأخ الصغير شهيد البهتان ، وحل بالزوجة انتقام زوجها العادل ، ونطق لسان الوجود بأن «على الباغى تدور الدوائر» .

فالمراة التى تسفلت فى النقيصة إلى هذه الدرجة ، تسببت فى أن انسانا بريثا جنى على نفسه بالموت ، تخلصا من شقاء الحياة ، وتسببت فى خراب بيت زوجها ، وعرضت نفسها للهلاك التام ، ولولا ميلها لنقيصة الزنا وخيانة الأمانة الزوجية ، لما لحق بها شئ مما جلبته بيدها على نفسها .

وبهذا تؤثر المواعظ وتتقبلها الأذهان بالارتياح .



المقارنة بين المرأة الفرعونية والمرأة المتفرعة

أدرك القارئ من التفاصيل التى أوردناها (إما نقلا عن النصوص المنزلة، والأمثال الحكيمة الماثورة عن رجال التربية، وكبار الفلاسفة، وروايات الأمثال والمواعظ) أن المرأة الفرعونية فى عصر الملوك العادلين، كانت موضع التجلية والاحترام، ومحل العناية والتوقير، لاتصافها بالإستقامة والعفة، والأمانة العامة وطهارة الأخلاق، وأنها كانت بسجاياها عضداً نافعاً فى المجتمع، تأصلت فى نفسها البغضاء للمزريات فلا تقترفها، بل تنهى الغير عن الميل إليها، وبذلك كان للحياء والاحتشام رادع مؤثر لقوة العناية من الهيئة الحاكمة فى عصر الفراعنة بالمحافظة على الآداب، محافظة يتلقاها الخلف عن السلف، تلقيا باذعان وامثال يصون الثروة، ويحفظ النسل ويمنع المضار الجسدية. وكل ذلك من دواعى الهناء والغبطة والسعادة للأمم. فللمرأة الفرعونية فى تلك الأدوار أثرها المحسوسة والصلاحية للارشاد، والأمومة الصادقة المتشعبة بالكمالات، الحريصة على الفضيلة فكانت طبقات الفضليات بتوالى العصور، حصنا منيعا لعزة الوطن واستقلال الأمة واعتدال الهيئة الحاكمة فى تصرفاتها، حتى بهذه الدوافع حفظوا ملكهم آلافا من السنين، تقدمت فيها الصناعة والحضارة، والمدنية الصحيحة والرفاهية المقترنة بازدياد الرغد ونماء الثروة. فكان الحاكم عوناً للمحكوم، والثقة القلبية بين الفريقين كانت عوامل متحدة لسعادة الأمة وخلود الملك مكينا عزيزاً.



أما المرأة المتفرعة التي نشأت في عصور الانحطاط، وظهر
 البهجة والتوسع في التقاليد الأجنبية، والعادات الممقوتة، والتفنن في
 السخافة والملاهي والتبذير وانعدام الحياء، وفقدان التربية العائلية.
 فبانعكاس الأخلاق وسوء البيئة، تعد معولا لهدم الحضارة، وانهيار
 كيان الرقى، وأداة لتمهيد المهلكات، وإساعة النقائص، وبث المفساد،
 فتلوث النفوس واندفعت الطبائع إلى الشرور، وهى فى الأصل أقرب
 إليها، فزادت فى أساليبها، واستباححت إتيان المنكرات. وبعد إن كانت
 تعد مردولة لا تقع إلا فى استتار، ولو فى قمم الجبال وأقاصى
 الأطراف، اتخذت من ضروب المباحاة، وسهل الاستهواء إليها، حتى
 صارت البهجة الحديثة كمشكاة تلفت الأبصار إلى الرذائل، وتحض
 على النقائص أقواما قضوا معظم حياتهم فى التباعد عنها ما
 استطاعوا.

بهذا الإنقلاب الخلقى وتغاضى الهيئات الحكومية عن مضاره
 وسوء عواقبه اندفعت الفجار والأسافل إلى تحسين كل قبيح، وتشويق
 كل غافل إلى التطورات السيئة، فاجترأت الجماهير على سلوك
 الفساد، وصاروا أسبق من الشياطين فى الدعاء إلى كل ضلالة،
 وبذلك استطاع الجهال بالوقاحة والتشرد النفسى أن يصمموا أسماعهم
 عن دواعى الزجر ونصائح الارشاد، ولم يقفوا عند ذلك، بل أقاموا
 أنفسهم حجر عثرة فى سبيل من يسعى إلى تقويم العوج، وأمن
 المضلون على أنفسهم من العقوبات الرادعة، لأن الهيئات السابقة
 أصيبت بما أصيب به المجتمع، وصار الفساد كطوفان يعم المدن
 والأودية.



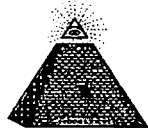
طال من الهيئة الحاكمة الإغضاء عن إقامة الحدود والتأديبات التي كفلت فى الأجيال الماضية استقامة الاحوال، حتى بلغ منها الخطأ جعل الزنا مهنة عامة كبعض المهنات المتخذة لالتماس الرزق.

أدى ذلك إلى فقدان رمق الحياء الضئيل من النفوس، واستخفاف الفجار بكل شئ. وأغرب ما فى هذا السبيل المنكر، وضع نظام لتأمين الزناة فى فجورهم من انتشار الأمراض المعدية الفتاكة فى الاجسام، التى كأنما جاءت بها الطبيعة لتكون زجراً ونذيراً، لمن أهملوا نظمات الشرائع التى كانت تعد الزنا من أفحش الجرائم وأشنع الموبقات.

المرأة التى أنغمست فى هذه الرذائل بحكم الأنوثة، وبضعف إرادتها انقادت لوسائل الفساد، وصارت كالريشة تتلاعب بها الرياح فى كل عمر.

هنا استطاب الأشرار تلك المراتع، وتمادوا فى المزيد منها بأساليب الملاحى والمسارح، وصارت الفتيات تبدأ بالعكوف عليها قبل التفكير فيما هى أشد حاجة إليه لتكون فى المستقبل القويم عماداً للعائلة، والقيام بالشئون المنزلية، وصيانة الفتيان والفتيات من المخازى المستقبحة لذاتها، حتى رأينا النشء الحديث يسبق فى ميادين الملاحى، طوائف المتخذين سلوكها بابا لارتزاقهم، فانتشرت فى القوم العادات الشائنة ما بين اشتياق نفسى إليها، وبين من يتخذونها سبيلاً لاقتناص كل شاردة.

بهذه المقارنة وحدها يمكن للعاقل المنصف الاعتقاد الجازم بافضلية العصور الأولى مع ما كان يفتره عليها المؤرخون من الخشونة والشدّة



عن عصور المدنية المزيفة التى عمت بلواها فى أقصر زمن، وقاومت بانتشارها كل رفق لكمال الأخلاق وصيانة الآداب.

وصارت المرأة المتفرغة (وهى تدرك مضار السيطرة الأجنبية على البلاد) سلاحا يستعمله الخصوم بما استطاعوا من الوسائل لازدياد اضمحلال الوطن، وفقد الأمة ثروتها، وخمول الاشخاص العاملين، وانعدام الشجاعة من النفوس بالتفانى الذميم فى البهارج الحديثة والزخارف المستنزفة للأموال من سائر الطبقات.

فلم تستطع المرأة المتفرغة بعد سقوطها فى هذا الهوان أن تكون أما صالحة لتهذيب أبنائها، ولتعويدهم الحياة السعيدة، والتأهب لاجتناء الثمرات التى أحترها الغير فى بلادنا بقدر ما أحس فينا من التلاشى والتباغض، كأن تلك الزخارف التى بها عميت أبصارنا، والبهارج التى هامت فيها نفوسنا، هى كل مجد الحياة عندها وعليها تنحصر موارد السعادة فى ذوقها. فياسوء ما جاءت به الحال، وما تهددنا به فى ظلام المآل، ونكد الاستقبال.



أسباب البغاء

يقولون إن الفاقة من الأسباب الملجئة لانتشار البغاء، وسقوط الفتيات فى مهالكه، إما طلبا للرزق أو لتجارى الفتاة الساقطة (فى الزخارف والملابس) من يسول لها الجهل الاقتداء بها فى الزهو والخيلاء، لأن حب التقليد قد يعمى المصابين به عن القناعة من الحياة بالميسور. ومن هنا جاء المثل : بأن شهوانيات النفس وأمياها الكامنة، تغلب على الفطرة القويمة بقهر التسلط بالاسترسال والانهماك.

والرأى الصواب أن المرأة السافلة التى لهوائها تقبل أن تكون إناء لكل والغ، يجب أن يقنعها الأحساس بانتهاج سبيل غير البغاء تنال بها الرزق اللائق بأمثالها، فإن لم يزجرها تيقظ الاحساس تولت زجرها الرقابة الحكومية العادلة.

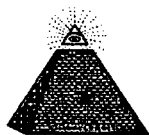
ومما يساعد على انتشار البغاء سوء التربية، لأن الطرفين السافلين من الفتيات والفتيان، إذا نشأ فى بيئة منحطة، لا تعرف التهذيب الزاجر عن النقائص، وتكون نفسيتهما مرتعا للفساد. فمن الواضح أن للنشأة العائلية التأثير الظاهر فى أفعال الخير والشر.

كما أن سوء الاختلاط بالشواذ بين طبقات العمال ومن فى حكمهم، والذين تلجئهم ضرورة الإقتصاد فى المعيشة للسكن باماكن حقيرة، يجتمع فى غرفها الضيقة أفراد كثيرون مع تفاوتهم فى



الأخلاق والعادات والأعمار، كل ذلك يؤدي للاستهتار بالصيانة والآداب، فتصبح وقاحة التخاطب والمعاشرة الفاسدة طبيعية لازمة، ومثل هؤلاء يعدون الاندفاع فى الحالة البهيمية أمراً لا حرج منه. وبعد أن يكون ذلك فى أفراد قلائل ببعض الأحياء تسرى عدواه إلى الأقرب فالأقرب من المجتمعات المتماثلة، فتنتشر الرذائل ولا يوجد بين المنغمسين فيها زاجر أو رادع، لأنهم نشأوا على الجهالة، وأستحسنوا كل ما تؤدى إليه، وضعف إشراف الهيئة المهيمنة على هذه الطبقات فيما يقع منها تحت ستار، لا يوصل إلى الاقلاع عن المساوى.

ويدخل فى هذه المحظورات تهاون بعض العائلات فى مضاجع أبنائهم الصغار والكبار، وتركهم ينامون بمكان واحد، تختلط فيه كل الأعضاء بلا حجاب ولا وقاية، وكثيراً ما تؤدى الملامسة غير المقصودة فى بادئ الأمر إلى تعمدها، والتدرج فيها إلى ما بعدها. وتغاضى الآباء والأمهات عن ذلك يمكن الفريقين بعد تلوثهما وأنغماسها فى ذلك من الاستدامة عليه، بعكس ما لو كانوا بمعزل عنه. (وهنا ندرك حكمة القول بأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه). فمن كمال الصيانة والتهديب للأطفال، والمراهقين أن يكون الأبناء فى مضاجعهم منعزلين عن أخواتهم البنات، كما يجب إبعاد الأبناء الكبار عن أخواتهم الصغار لغرس الاحتشام بين الطرفين، الذى هو أأزم الصفات الواجبة لوقار العائلة واستقامة أفرادها.



ومن المفاسد الأخلاقية إطلاق العنان للأطفال، يترددون فى الشوارع والمجتمعات، وأماكن اللهو والمسارح ونحوها بدون رقيب يستطيع الارشاد والزجر، لأن سن الطفولة وما فى حكمها يحجب للأطفال التهافت على كل شئ سواء كان ضاراً أو نافعا، وفى الغالب يوجد للفجور فى هذه المجتمعات أسباب تشوق إليه، فالأطفال كالسائمة إن لم تجد من يزجرها عن المرعى، أفرطت فى التهام الحشائش حتى تقتلها التخمّة، أو تجعل أجسامها على الدوام ضعيفة سقيمة ويحسن أن لا يتهاون الآباء والأمهات فى ذلك. وعندما توجد ضرورة قصوى للاستعانة فى رقابة الاطفال بخدام أو خادمت، يتعين انتقاؤهم من أفراد هم أهل للأمانة وللإعتماد عليهم. فكثيراً ما تولدت بأغلاط الخدم أمراض عائلية كبرى، كان الموت لذويها خيراً من الحياة. ودقة المراقبة يجب أن تكون شديدة فى الأوقات المعتادة للفراغ من العمل، أو شهور المسامحة فى المدارس، أو أسابيع المواسم والأعياد، وأوقات خروج الطلبة من المدارس إلى منازل أهليهم، فكل هذه الظروف من السوانح المساعدة على تبادل المواعيد، والاجتماعات المفسدة والمقابلات الشائنة، وعهد الطفولة والشبية كما قدمنا هو المرتع الخصيب للمفاسد إن لم يوجد من يتعهد المرعى من العبث والاعتداء.

ومن الوسائل التى يقل فى الناس الالتفات إليها عدم التخير فى المجتمعات وإنتخاب ما يكون منها بعيداً عن الشبهات والعدوى



السيئة، وسواء فى ذلك المسارح والقهاوى والفنادق العمومية، وكل ما هو فى حكم المحال العمومية التى يستطيع فيها الأسافل الاستعانة بالخدم ومن فى حكمهم على تسهيل أغراضهم بأى وسيلة.

وكثير من الفتيات بعد أن يخدعها المتشردون، أو ممن يتظاهرون بخطبة صادقة شرعية من الشبان تتخدع بتأكيد أحدهم لها برغبته فى زواجها، فتبيح له منها ما أراد، على اعتقاد استمرار الصلة بينهما؛ وأن عقد الزوجية المجزوم به عندها (متى حصل) يحو كل ما تقدمه. فبعد أن تقع فى شباك هذا المحتال، ويظهر من هذا الاختلاط حمل مستكن، يتنحى عنها الخادع الخائن، وهى لا تجد أمامها بابا تتقى به النقمة من ذوبها، إلا باندماجها فى طائفة البغايا، فيكون هذا الجانى الشرير أفسدها أولا، وعرضها ثانيا لسوء الحال طوال حياتها، وهذه جريمة يجب أن يفطن إليها التشريع، ويقرر فى شأنها العقوبات الزاجرة، لأن قطاع الطرق وسلبه الأموال، ليسوا أشد ضرراً على الأمن العام من فظائعه.

وكذلك يوجد الخطأ البالغ فى إفساد أخلاق الفتيان والفتيات فى عهد الصبا، بواسطة بعض أرباب المحلات التجارية الكبيرة فى المدن، الذين يقبلون فى خدمة محلاتهم بعض البنات، ولا يلبثن بضعف الارادة، أن يتخذهن الخلطاء من المشتغلين معهن فى المحل متاعاً



مباحا، ويتخذون من رابطة المكان التجارى ستاراً للابصار عن إدارك الطويات السافلة، ولا تلبث هذه الحالة أن يظهر مستورها، فتفر ذات الحمل الثقيل إلى أماكن الخزى، وتلحق نفسها بطائفة البغايا، وأولئك يجب أن لا يكون للحكومة عطف عليهم، وأن توجب على أرباب هذه المتاجر ملاحظة العمال فيها لمنع الاقدام على الأخلال بالآداب، وتعرض ضعيفات الارادة لمهلكات كن فى بدء حياتهم ينفرون منها، وباستغواء الخلطاء تسبق عليهن الأقدار بالوقوع فى أشد الفضائح.

ومن وسائط السوء فى هذا العصر انتشار طوائف ذات ظواهر مزيفة ما بين خاطبات وخائطات ومطربات وسماسرة، وبعضهم يتحلل صفات للمعالجة الخاصة بالسيدات. فأصحاب الاحتيال تحت ستار هذه المهنة، يجتذبن إلى منازلهن التى هى مواطن فساد كثيراً من النساء والفتيات الناشئات على طهارة النفس وحسن الظن، وبكثرة التردد يؤثر عليهن أصحابها تدريجياً، حتى تألف الجاهلة الوقوع فى فخاخ المنازل السرية، ثم تجرأ بعد ولوجها بهذا الميدان على الانضمام إلى البغايا، والتشريع المصرى ليس فيه الاحتياط الكافى لتوقيع العقوبات على أمثالهن، فى إستعمالهن ظروف الاحتيال وإفساد العائلات، والواجب أن يضاف إلى قانون العقوبات المصرى نصوص لعقابهن، ولو بالمبادئ المقررة لجرائم إفساد الأخلاق مع التشديد فى الاحكام.



ومما لوحظ أن الجهات التى يستقر بها بعض الجيوش، الذين هم بحكم النظام العسكرى، يقضون أيامهم بعيدين عن عائلاتهم، فتلجئهم التطورات البهيمية للسعى فى إفساد من يستطيعون من البائعات أو الجيران، متسلحين فى شهوانياتهم بألقابهم الجندية، التى يجب أن يكون لها من وازع النظام، والمراقبة القوية زاجر أقوى، لا أن يستمر الحال فى التغاضى عن وجود أماكن سرية بالقرب من هذه المعسكرات، تسهل الفساد على ذويه من الطائفتين. والواجب أن يلاحظ تصرف أفراد الجيش فى أحوالهم الشخصية، حتى لا يكونوا أداة إفساد بدلا من تسميتهم جنوداً حافظين لشرف البلاد وأهلها. فلا يصرح لغير المتزوجين منهم بالاقامة فى مساكن تسكنها عائلات غيرة على الشرف، فلا يتعرضن بواسطة وجودهم إلى أسوء العواقب، والحوادث على ذلك أكثر من أن تحصى.



نتائج البغاء

دلت المشاهدات العمومية على أن البغاء، كما أنه مستنكر فى الديانات والأذواق القويمة، هو أيضاً مضاد لنمو الانسان، ويؤدى إلى نقص فى المواليد وازدياد فى الوفيات .

فالعاهرة التى أقامت نفسها وعاء لكل والغ، تلجئها مذلة المهنة عند إحساسها بالحمل إلى وسائل الاجهاض، فتقتل الجنين وهو لا ذنب له، وتعرض نفسها للمخاطر الجسمانية، وتشويه شبيبتها التى لا تلبث بعد نضارتها، أن تكون كمناظر الحشرات، تشمئز منها العيون أضعاف ما تستنكرها الرذائل المنغمسة فيها.

وقد لاحظت بعض الدول أن الأقاليم التى أطلق فيها العنان إلى الزناة، كاد ينقرض منها النسل بالسبب المتقدم. ولكون البعض من البغايا تتخذ الوسائل السيئة، لتجعل الرحم عقيماً حتى لا يعوقها الحمل عن استدراار الأموال من الفجار، فأيقظت هذه الحوادث حكومة تلك البلاد، وأسرت فى وضع النظمات للزجر عن البغاء وعن هذا الاحتيال، حرصاً على نمو النسل الذى هو القوة المكونة للشعوب وقوة الدول، والحكومات تفتخر بكثرة الشعب لتتخذ منه حاجتها فى اعداد الجيوش، والقيام بالصنائع والمساعدة لتقدم المدنية وارتقاء العمران. فإذا كان الشعب يتلاشى بانتشار البغاء، أو بتسلط الاوبئة ونحوها فالهيئة الحاكمة قياماً بواجبها تسرع لاتخاذ أسباب الوقاية والطمأنينة على كيانها، إذ لا عمران للبلدان والممالك إلا بكثرة شعوبها، وتفتننها فى احتياجات التطور العمرانى .



وقد لاحظ بعض الأطباء بإحصاءاته الفنية، أن المرأة البغى
بانهماكها فى هذه الرذيلة تعثرها الامراض المعجلة لدمارها فى أقرب
وقت. وعند إلام أى إصابة من الأمراض الخطرة لا يطول بها الأمد،
وتتغلب تلك العوارض على حياتها، فتذهب فريسة الفجور، وضحية
الاضمحلال، وهما من الأمراض الأليمة فى جسم المجتمع.

من مضار البغاء انتشار الامراض السرية انتشاراً مزريراً بليغاً بمن
كانوا أبرياء. فكثيراً ما يصاب الفاجر السليم الجسم بالتقاط العدوى من
حيث لا يشعر شغفا بامرأة خدعته ثيابها البراقة وزخارفها الظاهرية،
فيمتص جسمه من الجراثيم ما يجعله بؤرة تنتقل منها المهالك إلى الغير
وفى الأوائل عائلته، وكثيراً ما تصاب المرأة بهذه الأمراض على غير
علم بتماديها أو سقوطها فى الشهوات، فتظهر عليها بين عشية
وضحاها العوارض المنذرة بالهلاك والويل (وغالباً يلحق النساء عار
هذه الأمراض أكثر مما يلحق بالرجال).

والأمراض السرية تنتقل بالملامسة والمجالسة، وعدم الاحتياط فى
نقاوة الملابس ونظافة الأوانى، بما فيها آنية الشراب ومشمولات
الأسرة، بل وكثيراً تحدث العدوى بوضع ثياب خاصة بمريض فى
الأوانى المخصصة للملابس الأصحاء، فيصاب أفراد العائلة من حيث لا
يشعرون، وتنتقل العدوى أيضاً بواسطة الخادومات أو المراضع اللواتى



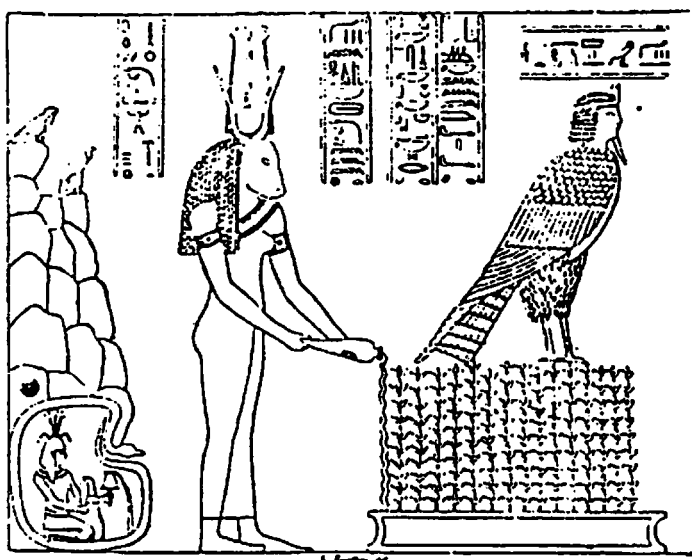
لهن اتصال كلى بربات البيوت وأطفال العائلات . فسموم كهذه الفتاكة أسرع فى الانتقال ، وفى الضرر من جراثيم الهواء فى أزمان الأوبئة ، فبدلاً من مشاهدة الاصابات فى أوائل الأمر قليلة ومحصورة فى طبقة معينة ، تنتشر إلى ما بعدها وتصاب المدائن والبلاد بالفتك الذريع ، والكل ذاهل عن الأسباب يتطلب النجاة ، ولا يدري لها سيلاً ، إلا إذا قضى الله بسكون ذاك الطوفان بعد طغيانه ، فلا ينجو إلا القليل من الناس ، وهيئات هيئات أن تبقى أجسامهم نقية ، بل كثيراً ما تظهر عندهم العوارض فجأة ، وهنا تكون الطامة الكبرى .

وشهد فى بعض الحروب أن الجيوش النظامية تنتشر فيها الأمراض السرية بنسبة ٢٥ فى المائة ، وهذا لسهولة اعتيادهم على البغاء فى أوقات مسامحتهم الأسبوعية .

ويترتب على إباحة البغاء تفنن الجهلاء فى سبيله والتشجيع عليه بتناول المخدرات والمشروبات الروحية ، وكثير من الطبقات السافلة لا يجدون من سعة المال لديهم ما يمكنهم مما ذكر . فبحكم الاضطراب البهيمى يلجأون إلى جرائم السرقات ونحوها وتتبعها إرادة الانتقام من كل فريق ضد الآخر فلا يتأخرون عن القتل وسفك الدماء ، هذا فضلاً عن صدور هذه الجرائم من أشخاص يفعلونها لحب الاستحواذ على امرأة ساقطة ، أو لمنع مزاحمة عشاقها لهم ، وأغلب حوادث الأقاليم



والمدن أيضا ناطقة بأن مسائل الفجور تؤدي في كثير من الاحيان إلى ارتكاب الحوادث العدوانية بالانتقام والتشفى أكثر مما يعهد في أهل البداوة من جرائم الأخذ بالثأر.



العودة إلى أسئلة الحكومة

فى بحث موضوع البغاء الرسمى

(١) هل ترون إلغاء البغاء الرسمى أو إبقاءه، وما هى الأسباب التى تبنون عليها رأيكم ؟

(جـ) يجب إلغاء البغاء الرسمى محافظة على الآداب والصحة، وطهارة الأنساب واجتناب كل حوادث الشرور المترتبة على إباحته .

(٢) فى حالة الإلغاء ما هى الطرق التى تشيرون بها لمعاملة المرخص لهن الآن ؟

(جـ) البغايا الموجدات الآن المتهنات بهذه الرذيلة، لسن نباتا قذفته الرياح إلى الجهات، بل كلهن من عائلات وضيفة أو رفيعة، وغلب عليهن الشقاء فى هذا الهوان ودنست به قومها . فيجب استتابة أمثالهن وتسليمهن لمن يوجد من ذوى القربى لملاحظة حسن سير المرأة أو تزويجها . وفى حالة مخالفتها لنصائح ورغائب العائلة، تسلم إلى أماكن إصلاحية حكومية أشبه بفروع للسجون التأديبية وفيها تباشر بعض الأشغال الصناعية، وتتعلم منها ما يكفل اقتياتها بالطريق المشروع المتبع فى نظام الإصلاحيات للأحداث، ولا شك فى أن العناية بذلك تلجئهن إلى صدق التوبة، واتخاذ المهن الشريفة المساعدة للرزق عند تزوجهن ولو برجال فقراء .



(٣) ما هي الوسائل التي تقترحونها لمكافحة البغاء السرى ؟

(ج) تيقظ الحكومة فى مراقبة المحلات المشبوهة ، المساعدة على فساد الأخلاق من أية مهنة ، كالحلاقين الذين يجعلون بدكاكينهم محلات لقص شعور النساء ، فان التهافت على هذه المحلات استدعاء صريح من جانبها إلى النقائص ، وكذا بعض الخياطات والمخدمات والخطابات والسماصرة ، وبالجملة فكل مكان يجرو أصحابه على اتخاذه محالا للموبقات ، أو للتصيد أو للإفساد أو لإخفاء المفسوق بهن أو أى إحتيال يؤدى إلى شئ من هذه المفساد ، ووضع قانون بعقوبات تستأصلها من منابتها ، أى بالحبس مع الشغل مدة لا تقل عن سنة ، حتى تعود الرهبة الحكومية إلى عهدها الأول فى الصيانة والتأديب .

وأرباب المهن المذكورة وما فى حكمها ، يجب حصولهم على رخصة رسمية بمزاولة صناعتهم على الوجه الشريف ، حتى بواسطة هذه الرخص والسجلات ، التى تخصص لحصرهم يستطيع افتقادهم ، والخياطات تدون فى سجل عندها أسماء من أدت لهم أعمالا على سبيل الصدفة ، والمعتادين التردد بملبوسات للتفصيل عندها الخ عملا بالنظام المقرر للوكاندات العمومية ، فإن ذلك يساعد البوليس فى تحرياتة .

وتقرير عقوبات للنساء المتبرجات فى الطرق ، المتجولات فى الأزقة والشوارع لأن فى الحالة المحزنة المتبعة الآن من جانبهن ، أقوى تحريض يرغم الشبان للتهافت على المهالك . فكما يعاقب الشاب على التعرض تعاقب المرأة المتبرجة ، لأن تبرجها شباك صائد .



ويسن تشريع بعقاب من يتجاوز خمسا وعشرين سنة ولم يتزوج، مع استطاعته العيش بدرجة أمثاله، اقتداء ببعض الحكومات التي فرضت ضرائب على العزاب. وعلى الحكومة تسهيلات للزواج، تكليف الأهالي بعدم المغالاة في «الشوار» ولا في الصداق، حتى يستطيع الأواسط تزويج أبنائهم وبناتهم بمراعاة الاستقامة، والاقتدار على التعيش، واجتناب التقيد بالثروة، أو ضخامة الألقاب غير الكافلة للبراءة من المزيريات.

تشديد العقاب على كل شاب يبتدئ في مغازلة النساء، أو يستميل البنات إلى الفساد بوعود عن الزواج، أو بمخالطة في المسارح أو اجتماعات في المنزهات، حتى ييقظة الحكومة في ذلك، تنتفى الأحوال السيئة، وتقل الفظائع التي تقشعر الأبدان منها الآن.

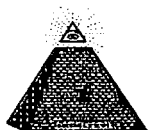
جعل التبليغ عن كل حادثة ضد الآداب والصيانة حقا عاما على كل فرد، اقتداء بوجوب التبليغ عن كل جريمة، لا أن يخصص هذا الحق بالأزواج فقط، كما أنه يجب أن لا تعفى الزانية من العقاب، إذا رضى الزوج بمعاشرتها، لأن استمرار الحال على ذلك من أشد المغريات على الفساد، وكثيراً ما يستعين بعض البغايا بزواج صوري برجال ساقطين من أمثالهم، للدفاع عنهم عند ضبطهن في بعض أماكن المنكر، أو بعد صدور الأحكام عليهن بالإدانة، وعقاب الزوج بالاشغال الشاقة، إذا أمر زوجته بأن يفسق فيها الغير، فقد فشلت هذه الحالة في السنوات الأخيرة.



ويحسن بالحكومة فى باب ما تؤديه لصيانة الأمن والآداب العمومية، تقرير مساعدة لكل إنسان فقير، يرزق بناتاً أو أولاداً بأكثر مما تسمح بإعالتة موارد رزقه، حتى يبلغوا أشدهم، فتنتفع بهم فى الأعمال العمومية، أو تلحقهم بالتجنيد الإختيارى ولا تتركهم عالة على المجتمع، ولا يكون فقر آبائهم مؤدياً بهم لاقتراف الجرائم، لأن الفقر وسوء التربية يساعدان الجهلاء والفاستدين على الإخلال بالأمن.

يمنع الأغنياء أعيان الريف من ترك بلادهم ومزارعهم، ويجبرون على عدم الاعتكاف على الملاهى، والاسترسال فى الموبقات، وإفساد أخلاق الغير، بما يذوله لوسطاء السوء فى أغراض السافلة، ومن تتكرر منه هذه الموبقات، يحجر عليه كالذين يوصفون بالعتة أو التبذير، بدافع العدل الحكومى لصيانة الثروة وحفظ الأخلاق فى مراقبة فعالة.

كثيراً ما تقدم للبوليس بلاغات عن محلات تدار للفحشاء والدعارة ولعدم وضع إمضاء المشتكين عليها يضرب عنها صفحاً، طبقاً لتعليمات قديمة من الداخلية والحكمدارية، وأصحاب الشكوى يتحاشون ذكر أسمائهم، حتى لا يضطدهم جيران السوء، خصوصاً عندما تصادفهم أحكام البراءة، والواجب أن يتقبل البوليس هذه البلاغات، للتحرى عن صحة ما بها، وتقديم المدانين فيها للمحاكمة، وبذلك يأخذ القانون سطوته، ويأمن الجار شر جيرانه الفجار، وفى الأمثال المأثورة. كم يؤخذ الجار بذنب الجار.



تقرير مكافأة مالية من الحكومة لرجال البوليس الأمانة، الذين تقتنع المحاكم بصحة إجراءاتهم فى التحريات، وفى التطبيقات القانونية ضد كل فريق يقترب بأى وسيلة، عملا من شأنه إفساد الأخلاق، أو التستر على الموبقات، حتى بهذه المكافأة تشجع نفوس العمال، وتصير الواجبات القانونية ملكة فى نفوسهم، ونبراسا لأعمالهم، وأمام ذلك يشدد العقاب على كل من يتهاون فى هذه الواجبات. وفى التقارير السرية عن أمثالهم الشئ الكثير.

ويسن تشريع بأن لا يسكن فى بيوت العائلات أشخاص من العزاب منعا لاحتياال الآخرين فى مآربهم الإفسادية.

(٤) ما هى الوسائل التى تقترحونها لتلافي الأمراض السرية ؟

(ج) الإكثار من المستشفيات التى تخصص لعلاجها، ومجازاة كل من تحدث به إصابة، إذا تأخر فى التبليغ عنها، ليستطيع الطب إيقاف الأمراض فى أوائلها وتخف عن المجتمع عوارضها ومضارها السيئة.

(٥) إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمى فهل يكون ذلك تدريجيا أم دفعة واحدة ؟

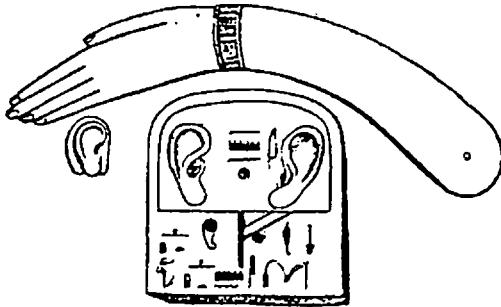
(ج) يكون دفعة واحدة ليكون العلاج حاسما، وتأثيره تاما. وإلى هنا قد استوفى البحث حقه واتم اليراع جولته، راجيا أن ينال لدى القراء ارتياحا يشجع على استمراره فى أشرف الواجبات الجديرة بالرضاء العام.



اسمى البشائر الأدبية

من أجل ما نتمين به لنجاح المجهودات الأدبية فى هذا السبيل أن نرف إلى حضرات قراء هذه العجالة تقرير الاقتراح الخاص بالغاء البغاء إلغاء تاما ينطق السنة التاريخ بفرائض الشكر والإجلال لصاحب الجلالة مليكنا المعظم الذى فى عصره السعيد تتطهر البلاد من كل شائنة وتنهض إلى تعزيز الآداب ونشر الفضائل وغميد السعادة للبلاد وأهلها، تنفيذاً للرغائب السامية التى يتلقاها ويؤديها حضرات القائمين بأزمة الاعمال فى ظل مليكنا المعظم وطبقاً للإرشادات السامية، فينالون بعد رضاء جلالته تمجيد التاريخ لثباتهم ومبادرتهم فيما ينطق الأفواه بالثناء عليهم، سواء فى ذلك أعضاء الهيئة الحكومية الجليلة وطبقات الباحثين من عظماء الرجال والأدباء الذين ناصروا الحقيقة بمباحثهم القويمة حتى وضع الحق لذى عينين، وأمكن للناس أن يترقبوا محو كل شائنة فى تاريخ البلاد والنهوض إلى تقويم الأخلاق جهد الاستطاعة فتسترد البلاد مجدها وأحياء الآداب والكرامة القويمة.

انظرون زكرى



٢٤



فهرست الكتاب

- ٩ مقدمة .
- ١٣ عناية الفراعنة بعفاف المرأة .
- ٢١ النصوص المنزلة فى تحريم البغاء عند قدماء المصريين .
- ٢٧ أقوال فلاسفة قدماء المصريين فى تحريم البغاء .
- ٣٣ أبلغ عقاب على الزانى والزانية عند قدماء المصريين .
- ٤١ فساد المرأة يهدر حياتها أو قصة الأخوين .
- ٥٠ مقارنة بين المرأة الفرعونية والمرأة المتفرعة .
- ٥٤ أسباب البغاء .
- ٦٠ نتائج البغاء .
- ٦٤ العودة إلى أسئلة الحكومة فى بحث موضوع إلغاء البغاء .
- ٦٩ أسمى البشائر الأدبية .
- ٣ رسم يمثل ملك وإله مصرى يفرغان ماء لتطهير الابن التائب .
- ٣ صورة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر وكتب اسمه بلسان المصرى القديم وتحت قدميه مثال رمزى لنيلين البحرى والقبلى .
- ٥ صورة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا رئيس لجنة بحث البغاء الرسمى .
- ٧



- ١٥ رسم يمثل رمسيس الثالث حامى المرأة المصرية القديمة .
- رسم يمثل محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين .
- ٢٣
- ٣٨ رسم الساحر والتمساح .
- ٤٢ رسم انوبو وأخيه بوتو .
- ٤٣ رسم زوجة انوبو وبوتو .
- ٤٤ رسم بوتو حاملا أدوات الزراعة .
- ٤٦ رسم انوبو راجع إلى منزله المظلم .
- رسم بوتو عائد إلى منزله ومعه المواشى و ينتظره انوبو
- خلف الباب .
- ٤٧
- ٤٨ رسم الأخوين يفصلهما البحر .

